الدنيا و حقيقتها

ابن قيم الجوزية

مصدر هذه المادة:



الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رســول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

ضرب الله عز وجل الأمثـال في القـرآن الكـريم، فقـال: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَـالُ نَضْـرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَـــــــالِمُونَ﴾ **[العنكبوت: 43].**

وقـال جل وعلا: ﴿وَلَقَـدْ ضَـرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَــذَا الْقُــرْآنِ مِنْ كُــلِّ مَثَــلٍ...﴾ **[الروم: 58].**

هكذا يضرب رب العزة جل وعلا الأمثـال للناس ليقرب لهم الفهم وليبين لهم الأمور، وبالأمثال دائمًا تتضح الصور.

ولقد جاء في السنة مجموعة من الأمثال لنفس الغــرض، وكم كــان رســول الله ﷺ حريصًا على أصـحابه فضـرب لهم الأمثـال، وشــــبك بين أصــــابعه ورسم في الأرض خطوطًـا، كل هـذا ليعلم البشـرية من خلال أصحاب الأخيار رضي الله وأرضاهم.

وبين أيــدينا أخي القــارئ مجموعة من

الأمثلة[1] الــتي ســاقها شــيخ الإســلام ابن القيم- رحمه اللـــه- واســـتنبطها ونقلها في أوضح صـــــورة وأزهى ثـــــوب؛ لتتضح لنا الصورة الحقيقية للدنيا.. الدنيا التي شـغلت الكثـيرين عن الله والـدار الآخـرة، وصـدت جمعًا غفــيرًا عن طلب ما عند اللـــه، وهم يســـعون بالليل والنهـــار في جمع الـــدنيا وحطامها؛ ناسين أو متناسـين: ﴿مَا عِنْـدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ [النحل: 96].

أخي:

من الناس من جعل الـدنيا مبلغه ومنتهى همــه، فلا تــراه يفكر إلا في ذاته دون أدنى اهتمام بأمور دينه وقضـايا أمتـه، يعيش في الـدنيا للـدنيا فقـط.. وفي مثل هـذا يصـدق قول الله تعـالى: ﴿مَنْ كَـانَ يُرِيـدُ الْحَيَـاةَ الـدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُـوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُـــــونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِـــرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَـانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 16].

نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بهـذا الكتـاب

[1] (?) وهي منقولة من كتـاب [عـدة الصـابرين وذخـيرة الشاكرين].

القيم لشيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله.

الناشر

* * * *

المثال الأول
مثل العبد فيها

للعبد ثلاثة أحـــــوال: حالة لم يكن فيها شـيئًا، وهي ما قبل أن يوجـد. وحالة أخـرى وهي من سـاعة موته إلى ما لا نهاية له في البقـــاء الســـرمدي؛ فلنفسه وجـــود بعد خروجها من البـــدن؛ إما في الجنة وإما في النـــار، ثم تعـــاد إلى بدنه فيجـــازى بعمله ويسـكن إحـدى الـدارين في خلـود دائم، ثم بين هاتين الحالتين- وهي ما بعد وجوده وما قبل موته- حالة متوسطة وهي أيـام حياتـه، فلينظر إلى مقـــدار زمانها وأنســـبه إلى الحـــالتين، يعلم أنه أقل من طرفة عين في مقـدار عمر الـدنيا، ومن رأى الـدنيا بهـذه العين لم يركن إليها، ولم يبـال كيف تقضت أيامه فيهـــا؛ في ضر وضـــيق، أو في ســـعة ورفاهيـة، ولهـذا لم يضع رسـول الله ﷺ لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وقال: «**ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الـدنيا إلا كراكب قـال في ظل شـجرة ثم راح وتركها**» [رواه الترمذي].

وقال: «**ما الدنيا في الآخـرة إلا كما يجعل أحـــــدكم إصـــــبعه في اليم، فلينظر بم يرجع**» [رواه مسلم].

وإلى هذا أشار المسيح بقوله: «الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها». وهذا مثل صحيح؛ فإن الحياة معبر إلى الآخرة، والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة، واللحد هو الركن الثاني على آخرها، ومن الناس من قطع نصف القنطرة، ومنهم من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها، وكيفما كان فلابد من العبور؛ فمن وقف يبني على القنطرة ويزينها بأصناف الزينة وهو يستحث العبور فهو في غاية الجهل والحمق.

المثال الثاني
شهوات الدنيا

شـــهوات الـــدنيا في القلب كشـــهوات الأطعمة في المعدة، وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجـده للأطعمة اللذيـذة إذا انتهت في المعدة غايتهـا، وكما أن الأطعمة كلما كـانت ألذ طعمًا وأكـثر دسـمًا وأكـثر حلاوة وكان رجيعها أقذر، فكذلك كل شهوة كـانت في النفس ألذ وأقـوى؛ فالتـأذي بها عند المــوت أشـــد، كما أن تفجع الإنسـان بمحبوبه إذا فقــــده يقــــوى بقــــدر محبة المحبوب.

وفي المسند أن النبي قال للضحاك بن سـفيان: **«ألست تـؤتى بطعامك وقد ملح وقـــزح ثم تشـــرب عليه المـــاء واللبن»**، قـال: بلى، قـال: **«فـإلى ما يصـير؟»** قـال: إلى ما قد علمت، قـال: **«فإن الله عز وجل ضرب مثل الـدنيا لما يصـير إليه طعـام ابن آدم» [رواه أحمد]**.

كـان بعض السـلف يقـول لأصـحابه: انطلقوا حتى أريكم الدنيا. فيـذهب بهم إلى

مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم.

* * * *

المثال الثالث
انشغال أهلها بنعيمها عن الآخرة

لها ولأهلها في اشـــــتغالهم بنعيمها عن الآخرة وما يعقبهم من الحسرات مثل أهلها في غفلتهم، مثل قوم ركبوا سفينة فـانتهت بهم إلى جزيـرة فـأمرهم الملاح بـالخروج لقضاء الحاجة، وحـذرهم الإبطـاء، وخـوفهم مـــرور الســـفينة، فتفرقـــوا في نـــواحي الجزيرة، فقضى بعضهم حاجتـه، وبـادر إلى السفينة فصادف المكان خاليًـا، فأخذ أوسع الأمـــاكن وألينها وأوفقها لمـــراده، ووقف بعضـــهم في الجزيـــرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة، ويسـمع نغمـات طيورهـا، ويعجبه حسن أحجارهــــا، ثم حدثته نفسه بفـــوت الســـفينة وســـرعة مرورها وخطر ذهابها، فلم يصـادف إلا مكانًا ضـيقًا فجلس فيـــه، وأكب بعضـــهم على تلك الحجـــارة المستحسـنة والأزهـار الفائقـة، فحمل منها حملــه، فلما جــاء لم يجد في الســفينة إلا مكانًا ضــعيفًا، وزاده حمله ضــيقًا فصـــار محموله ثقلاً عليه ووبـــالاً، ولم يقـــدر على نبـذه؛ بل لم يجد من حمله بـدًا ولم يجد له في الســـفينة موضـــعًا، فحمله على عنقه ونـــدم على أخــذه، فلم تنفعه الندامــة، ثم

ذبلت الأزهار وتغيرت أراييجها وآذاه نتنها.

وتـــولج[1] بعضـــهم في تلك الغيـــاض[2] ونسي السـفينة وأبعد في نزهتـه، حـتى أن الملاح نادى بالنـاس عند دفع السـفينة، فلم يبلغه صـوته؛ لاشـتغاله بملاهيـه؛ فهو تـارة يتناول من الثمـر، وتـارة يشم تلك الأزهـار، وتـارة يعجب من حسن الأشـجار، وهو على ذلك خائف من سبع يخـرج عليه غـير منفك من شـــوك يتشـــبث في ثيابه ويـــدخل في قدميـــه، أو غصن يجـــرح بدنـــه، أو عوسج يخـرق ثيابه ويهتك عورتـه، أو صـوت هائل يفزعه، ثم من هؤلاء من لحق السـفينة ولم يبق فيها موضـــع، فمـــات على الســـاحل، ومنهم من شـغله لهـواه فافترسـته السـباع ونهشته الحيـات، ومنهم من تـاه فهـام على وجهه حتى هلك.

فهـــذا مثـــال أهل الـــدنيا في اشـــتغالهم بحظـوظهم العاجلـة، ونسـيانهم مـوردهم وعاقبة أمـــرهم. وما أقبح بالعاقل أن تغريه أحجار ونبـات يصـير هشـيمًا، قد شـغل باله وعوقه عن نجاته ولم يصحبه.

---

1 (?) تولج: دخل وتوغل.

2 (?) الغيـــاض: جمع غضـــية وهي الأشـــجار المجتمعة الكثيفة.

* * * *

المثال الرابع
وغرتهم الحياة الدنيا

لاغـترار النـاس بالـدنيا وضـعف إيمـانهم بالآخرة، قال ابن أبي الدنيا: حـدثنا إسـحاق بن إسـماعيل، حـدثنا روح بن عبـادة، حـدثنا هشـام بن حسـان عن الحسن قـال: بلغـني أن رســول الله ﷺ قـــال لأصـــحابه: **«إنما مثلي ومثلكم مثل الـدنيا كمثل قـوم سـلكوا مفـازة[1] غـبراء، حـتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أم ما بقي أنفــذوا الــزاد وحســروا [2] الظهــر، وبقــوا بين ظهــراني المفــازة [3]؛ لا زاد ولا حمولـــة، فـــأيقنوا بالهلكـــة، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه فقالوا: إن هذا قريب عهد بزيف، وما جاءكم هـذا إلا من قريب، فلما انتهى إليهم قال: يا هـــؤلاء علام أنتم؟ قـــالوا: على ما**

---

1 (?) المفـازة: الفلاة لا مـاء فيهـا، وسـميت الصـحراء مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز.

2 (?) حسر الظهر: أعيى دابته.

3 (?) بين ظهراني المفازة: في وسطها.

تــرى؟ قـال: أرأيتم إن هـديتكم على ماء رواء، وريـاض خضـر، ما تجعلـون لي؟ قـالوا: لا نعصـيك شـيئًا. قــال: عهــودكم ومــواثيقكم باللــه. قــال: فأعطوه عهـودهم، ومـواثيقهم بالله لا يعصونه شيئًا، قال: فـأوردهم مـاء ورياضًــا خضــراء. قـال: فمكث فيهم ما شـــاء اللـــه. ثم قـــال: يا هـــؤلاء الرحيـل، قـالوا: إلى أين؟ قـال: إلى مـــاء ليس كمـــائكم وريـــاض ليست كرياضـكم، قـال: فقـال جُـلُّ القـوم وهم أكــثرهم: والله ما وجــدنا هــذا حــتى ظننَّا أن لن نجــده، وما نصــنع بعيش هو خير من هذا! قال: وقـالت طائفة وهم أقلهم: ألم تعطــوا هــذا الرجل عهـودكم ومــواثيقكم بالله لا تعصونه شيئًا، وقد صــدقكم في أول حديثه، فوالله ليصـدقنكم في آخـره، فـــــــراح بمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبادرهم عدوهم فأصبحوا بين أسـير وقتيل»[1].

---

1 (?) جامع الأحاديث والمراسيل.

* * * *

المثال الخامس
ظل شجرة

للـــدنيا وأهلها ما مثلها به النـــبي ﷺ كظل شـجرة [1]، والمـرء مسـافر فيها إلى اللـه، فاستظل في ظل الشجرة في يوم صـائف، ثم راح وتركهـا، فتأمل حسن هـذا المثـال ومطابقته للواقع سـواء؛ فإنها في خضـرتها كشجرة، وفي سرعة انقضائها وقبضها شيئًا فشـيئًا كالظــل، والعبد مســافر إلى ربــه، والمسافر إذا رأى شجرة في يوم صـائف لا يحسن به أن يبـــني تحتها دارًا ولا يتخـــذها قرارًا، بل يستظل بها بقـدر الحاجـة، ومـتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق.

* * * *

المثال السادس
منقطعة فانية

تمثيله لها ﷺ بمـدخل أصـبعه في اليم [2]:

---

1 (?) «ما لي وللـدنيا...» و «ما أنا والـدنيا...»، و «إنما مثلي ومثل الــدنيا كــراكب ظل تحت شــجرة ثم راح وتركها» [الصحيحة بالرقم: 438].

2 (?) عن قيس قـال: سـمعت المسـتورد أخا بـني فهر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «والله، ما الـدنيا في الآخــرة إلا مثل ما يجعل أحـدكم أصـبعه في اليم

فالــذي يرجع به أصــبعه من البحر هو مثل الدنيا بالنسـبة إلى الآخـرة، وهـذا أيضًـا من أحسن الأمثـال؛ فـإن الـدنيا منقطعة فانيـة، ولو كانت مدتها أكثر مما هي، والآخرة أبدية لا انقطاع لها، ولا نسبة للمحصـور إلى غـير المحصـــور؛ بل لو فـــرض أن الســـماوات والأرض مملوءتـــان خـــردلاً، وبعد كل ألف ســنة طــائر ينقل خردلة لفــني الخــردل، والآخرة لا تفنى؛ فنسـبة الـدنيا إلى الآخـرة في التمثيل، كنسبة خردلة واحــدة إلى ذلك الخردل، ولهذا لو أن البحر يمـده من بعـده ســبعة أبحـــر، وأشـــجار الأرض كلها أقلام يكتب بها كلام الله، لنفـدت الأبحر والأقلام، ولم تنفد كلمات اللـه؛ لأنها لا بداية ولا نهاية لها، والأبحر والأقلام متناهية.

قـال الإمـام أحمد وغـيره: لم يـزل الله متكلمًا إذا شـــاء، وكماله المقـــدس مقتض لكلامه، وكماله من لوازم ذاته؛ فلا يكون إلا كـــاملاً، والمتكلم أكمل ممن لا يتكلم، وهو ســبحانه لم يلحقه كلل ولا تعب ولا ســآمة من الكلام، وهو يخلق ويدبر خلقه بكلماتــه؛ فكلماته هي الــتي أوجد بها خلقه وأمـــره،

فلينظر بم ترجع إليه» [رواه أحمد].

وذلك حقيقة ملكه وربوبيته وإلهيتـــه، وهو لا يكـــــون إلا ربًا ملكًا إلها لا إله إلا هـــــو. والمقصـــود أن الـــدنيا نفس من أنفـــاس الآخرة وساعة من ساعاتها.

* * * *

المثال السابع

شَرَهٌ قاتل

ما مثلها به ﷺ في الحـــديث المتفق على صحته من حديث أبي سعيد الخدري ؓ قال: قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال: **«لا والله ما أخشى عليكم إلا ما يخـــرج الله لكم من زهرة الدنيا»**. فقال رجل: يا رسول الله، أَوَيأتي الخير بالشر؟ فصمت رســـول الله ﷺ ثم قـــال: **«كيف قلت؟»** قال: يا رسول اللـه، أويـأتي الخـير بالشـر؟ فقال رسـول الله ﷺ: **«إن الخـير لا يـأتي إلا بـــالخير، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطًا أو يلم، إلا آكلة الخضر أكلت حـــتى إذا امتلأت خاصـــرتاها استقبلت عين الشـمس فثلطت[1] وبـالت ثم اجـترت، فعـادت فـأكلت،**

---

[1] (?) ثلطت: ألقت بعرها أي تغوطت.

فمن أخذ مــالاً بحقه بــورك له فيــه، ومن أخذ مالاً بغير حقه فمثله كمثل الـذي يأكل ولا يشــبع». [رواه البخــاري ومسلم].

فـــأخبر أنه إنما يخـــاف عليهم الـــدنيا وســماها زهــرة؛ فشــبهها بــالزهر في طيب رائحته وحسن منظـــره وقلة بقائـــه، وأن وراءه ثمرًا خيرًا وأبقى منه.

وقوله : «**مما ينبت الربيع ما يقتل حبطًا أو يَلِمُّ**». هـــذا من أحسن التمثيل المتضمن للتحذير من الدنيا والانهماك عليها والمســرة فيهــا, وذلك أن الماشــية يروقها نبت الربيع, فتأكل منها بأعينها فربما هلكت حبطًــا، والحبــط: انتفــاخ بطن الدابــة. من الامتلاء، أو من المرض. يقال: حبط الرجل: والدابة تحبط حبطًــا: إذا أصــابه ذلــك، ولما أصاب الحارث بن مازن بن عمــرو بن تميم ذلك في ســـفره فمـــات حبطًـــا، فنسب الحبطي كما يقال السلمي. فكـذلك الشـره في المــال يقتله شــرهه وحرصــه، فــإن لم يقتله قـــارب أن يقتلـــه، وهو قولـــه: «**أو يلِمُّ**». وكثير من أرباب الأمــوال إنما قتلتهم أموالهم، فــإنهم شــرهوا في جمعها واحتـاج

إليها غــيرهم، فلم يصــلوا إليها إلا بقتلهم أو ما يقاربه من إذلالهم وقهرهم.

وقوله ﷺ: «**إلا آكلة الخضـــــر**». هـــــذا تمثيل لمن أخذ من الـــدنيا حاجتــــه، مثَّله بالشــاة الآكلة من الخضر بقــدر حاجتهــا، أكلت حـتى إذا امتلأت خاصـرتاها، في لفظ آخــر: «**امتـدت خاصـرتاها**». وإنما تمتد من امتلائها من الطعـام، وثـنى الخاصـرتين لأنهما جانبا البطن.

وفي قوله ﷺ: «**اســـــــــتقبلت عين الشمس فثَلَطَت وبالت**» ثلاث فوائد:

إحـــداها: أنها لما أخـــذت حاجتها من المرعى تركته وبـركت مسـتقبلة الشـمس؛ لتستمرئ لذلك ما أكلته.

الثانيــة: أنها أعرضت عما يضــرها من الشره في المـرعى، وأقبلت على ما ينفعها من اســتقبال الشــمس الــتي يحصل لها بحرارتها إنضاج ما أكلته وإخراجه.

الثالثة: أنها استفرغت بالبول والثَّلَط ما جمعته من المــرعى في بطنها فاســتراحت بإخراجه، ولو بقي فيها لقتلها، فكذلك جامع المال مصـلحته أن يفعل به كما فعلت هـذه الشاة.

وأول الحديث مثَّل للشَّرِه في جمع الدنيا الحريص على تحصـيلها؛ فمثاله مثـال الدابة التي حملها شرَهُ الأكل على أن يقتلها حبطًا أو يلمّ إذا لم يقتلهـا؛ فـإن الشَّـرِهَ الحـريص إما هالك وإما قريب من الهلاك؛ فإن الربيع ينبت أنواع البقول والعشـب، فتسـتكثر منه الدابة حــتى ينتفخ بطنهــا؛ لما جــاوزت حد الاحتمــال، فتنشق أمعاؤها وتهلــك، كــذلك الذي يجمع الدنيا من غير حلها ويحبسـها، أو يصرفها في غير حقها.

وآخر الحــــــــديث: مثل للمقتصد بآكلة الخضر الذي تنتفع الدابة بأكلــه، ولم يحملها شــرهها وحرصــها على تناولها منه فــوق ما تحتمله، بل أكلت بقـدر حاجتها وهكـذا. هـذا أخذ ما يحتــاج إليه ثم أقبل على ما ينفعــه، وضــرب ببــول الدابة وثلطها مثلاً لإخراجه المال في حقه؛ حيث يكون حبسه وإمساكه مضـرًا بـه، فنجا من وبـال جمعه بأخذ قـدر حاجته منه، ونجا من وبال إمسـاكه بإخراجه كما نجت الدابة من الهلاك بالبول والثلط.

وفي هـذا الحـديث إشـارة إلى الاعتـدال والتوسط بين الشــره في المــرعى القاتل بكثرتــه، وبين الإعــراض عنه وتركه بالكلية

فتهلك جوعًـا، وتضـمن الخـبر أيضًـا إرشـاد المكـثر من المـال إلى ما يحفظ عليه قوته وصـحته في بدنه وقلبـه، وهو الإخـراج منه وإنفاقه ولا يحبسه فيضـــره حبســـه، وبالله التوفيق.

* * * *

المثال الثامن
خضرة.. حلوة

مـا رواه عمـرو بن شـعيب عن أبيـه عن سليمان بن يسـار عن ميمونـة قـالت: قـال رسول اللـه ﷺ لعمـرو بن العـاص: **«الدنيا خضـرة حلـوة؛ فمن اتقى اللـه فيهـا وأصلح، وإلا فهـو كالآكـل ولا يشـبع. وبين النـــاس في ذلـــك كبعـــد الكوكـــبين؛ أحـــدهما يطلـــع في المشـــــرق والآخـــــر يغيب في المغـــرب»**[1]؛ فنبـــه بخضـــرتها على استحسان العيـون لهـا، وبحلاوتهـا على اسـتجلاء الصـدور لهـا، وبتلـك الخضـرة والحلاوة زينت لأهلهـــا وحببت إليهم؛ لا سيما وهم مخلوقـون منهـا، وفيهـا كمـا

---

1 (?) مجمع الزوائد (10/249)، وكنز العمال (6200).

قيل:

ونحن بنو الدنيا ومنها نباتنا

وما أنت منه فهو شيء

وجعل الناس فيها قسمين:

أحــدهما: مصــلح متــق. فهــذا تقــواه وإصــلاحه، لا يدعانه ينهمك عليهــا، ويشــره فيهـا، ويأخـذها من غـير حلهـا، ويضـعها في غير حقها، فإن لم يتق ويصلح صـرف نهمته وقواه وحرصه إلى تحصـيلها، فكـان كالـذي يأكل ولا يشــبع، وهــذا من أحسن الأمثلــة؛ فـــإن المقصـــود من الأكل حفظ الصـــحة والقــوة، وذلك تــابع لقــدر الحاجــة، وليس المقصـــــود منه ذاته ونفســـــه، فمن جعل الصـحة والقـوة، وذلك تـابع لقـدر الحاجـة، وليس المقصـــود منه ذاته ونفســـه، فمن جعل نهمته فوق مقصـوده لم يشـبه؛ ولهـذا قــال الإمــام أحمــد: «الــدنيا قليلها يجــزي وكثيرها لا يجزي».

وأخبر عن تفاوت النـاس في المنزلـتين – أعني منزلة التقـوى والإصـلاح، ومنزلة الأكل والشره – وأن بين الرجلين في ذلك كما بين الكوكـبين؛ الغـارب في الأفق والطـالع منـه، وبين ذلك منازل متفاوتة.

* * * *

المثال التاسع
هوانها على الله

ما تقدم من حـديث المسـتورد بن شـداد قــال: كنت مع الــركب الــذين وقفــوا مع رسـول الله ﷺ على السـخلة الميتـة، فقـال رسول الله ﷺ: «**أترون هذه، هانت على أهلها حتى ألقوها؟**» قـالوا: ومن هوانها ألقوها يا رسـول اللــه. قــال: «**فوالــذي نفس محمد بيـده للـدنيا أهـون على الله من هـــــــذه على أهلها**» **[رواه الترمذي، وابن ماجه]**، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

فلم يقتصر ﷺ على تمثيلها بالســـــــخلة الميتة؛ بل جعلها أهون على الله منها.

وفي مســـند الإمــام أحمد في هـــذا الحديث: «**فوالذي نفسي بيـده للـدنيا عند الله أهون عليه من تلك السـخلة على أهلها**» **[رواه أحمـــــد]**؛ فأكد ذلك بالقسم الصـادق، فـإذا كـان مثلها عند الله أهـون وأحقر من سـخلة ميتة على أهلهـا، فمحبها وعاشـقها أهـون على الله من تلك السـخلة، وكونها سـخلة أهـون عليهم من

كونها شــاة كبــيرة؛ لأن تلك ربما انتفعــوا بصــوفها أو دبغــوا جلــدها، وأما ولد شــاة صـــــغيرة ميت ففي غاية الهــــوان، والله المستعان.

* * * *

المثال العاشر
بحر لابد من عبوره

مثلها مثل البحر الـــذي لابد للخلق كلهم من ركوبه ليقطعوه إلى الســاحل الـذي فيه دورهم وأوطـــانهم ومســـتقرهم، ولا يمكن قطعه إلا في ســـفينة النجــاة، فأرسل الله رســله لتعــرف الأمم اتخــاذ ســفن النجــاة وتــــأمرهم بعملها وركوبهــــا، وهي طاعته وطاعة رســــله وعبادته وحـــــده، وإخلاص العمل له والتشـــــمير للآخـــــرة وإرادتها والســـعي لها ســـعيها، فنهض الموفقـــون وركبوا السفينة، ورغبــوا عن خــوض البحــر؛ لما علموا أنه لا يقطع خوضًا ولا سباحة.

وأما الحمقى فاستصـعبوا عمل الســفينة وآلاتها والركوب فيها، وقالوا: نخوض البحر، فإذا عجزنا قطعناه ســباحة، وهم أكـثر أهل الـدنيا، فخاضـوه، فلما عجـزوا عن الخـوض

أخذوا في السباحة حتى أدركهم الغرق، ونجا أصحاب السفينة كما نجوا مع نوح وغرق أهل الأرض، فتأمل هذا المثل وحال أهل الدنيا فيها يتبين لك مطابقته للواقع، قد ضرب هذا المثل للدنيا والآخرة والقدر والأمر؛ فإن القدر بحر والأمر فيه سفينة لا ينجو إلا من ركبها.

* * * *

المثال الحادي عشر
إناء مملوء عسلاً

مثالها مثال إناء مملوء عسلاً رآه الذباب فأقبل نحوه، فبعضه على حافة الإناء وجعل يتناول من العسل حتى أخذ حاجته ثم طار، وبعضه حمله الشره على أن يرمى بنفسه في لجة الإناء ووسطه فلم يدعه انغماسه فيه أن يتهنأ به إلا قليلاً حتى هلك في وسطه.

* * * *

المثال الثاني عشر
حب نثر على الأرض

مثال حب قد نثر على وجه الأرض،

وجعلت كل حبة في فخ، وجعل حـــول ذلك الحب حب ليس في فخاخ، فجـاءت الطـير؛ فمنها من قنع بالجوانب ولم يـرم نفسه في وسط الحب، فأخذ حاجته ومضــــــى، ومنها من حمله الشره على اقتحام معظم الحَب، فما استتم اللقـاط إلا وهو يصـيح مِنْ أخـذه الفخ له.

المثال الثالث عشر
تقاحم الفراش

كمثل رجل أوقد نــــــارًا عظيمة فجعلت الفراش والجنادب يرون ضوءها فيقصدونها ويتهــافتون فيهــا، ومن له علم بحالها جعل يستضيء ويستدفئ بها من بعيد، وقد أشـار النـبي ﷺ إلى هـذا المثل بعينه في الحــديث الــذي رواه مالك بن إســماعيل، عن حفص بن حميــد، عن عكرمـــة، عن ابن عبــاس رضي الله عنهما عن عمر ﷺ عن النــــبي ﷺ قـــال: «**إني ممسك بحجـــزكم[1] عن النــــار وتتقـــاحمون فيها تقــــاحم الفــــراش والجنـــادب، ويوشك أن**

---

1 (?) الحجزة: معقد الإزار.

أرسل بحجزكم»[2].

وفي لفظ آخر: «**مثلي ومثلكم كمثل رجل اســتوقد نــارًا فلما أضــارت ما حوله جعلت الفـــــراش والجنـــــادب يتقاحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النــار، وأنتم تغلبــوني وتتقــاحمون فيها**» وهذا المثال منطبق على أهل الدنيا المنهمكين فيهـــا؛ فالرسل تـــدعوهم إلى الآخــرة، وهم يتقــاحمون في الــدنيا تقــاحم الفراش.

* * * *

2 (?) البخاري، ومسلم، والترمذي (2877).

المثال الرابع عشر
الوادي الأخضر

مثل قـــوم خرجـــوا في ســـفر بـــأموالهم وأهليهم، فمـــروا بـــواد معشب كثـــير الميـــاه والفواكه، فـــنزلوا به وضـــربوا خيمهم، وبنـــوا هنالك الـــــدور والقصـــــور، فمر بهم رجل يعرفون نصحه وصدقه وأمانتـــه، فقـــال: إني رأيت بعيـــــني هـــــاتين الجيش خلف هـــــذا الوادي، وهو قاصدكم، فاتبعوني أســـلك بكم على غير طريق العدو فتنجوا منه، فأطاعته طائفة قليلـــة، فصـــاح فيهم: يا قـــوم النجـــاة، النجـــاة، أتيتم، أتيتم، وصـــاح الســـامعون له بأهليهم، وأولادهم وعشائرهم، فقالوا: كيف نرحل من هذا الوادي وفيه مواشينا وأموالنا ودورنا، وقد استوطناه. فقـــال لهم الناصـــح: لينج كل واحد منكم بنفسه مما خف عليه من متاعـــه، وإلا فهو مـــأخوذ، وماله مجتـــاح، فثقل على أصحاب الجد والأمـــوال ورؤســـاء القـــوم النقلة ومفارقة ما هم فيه من النعيم والرفاهية والدعـــة، وقـــال كل أحمـــق: لي أسوة بالقاعدين؛ فهم أكثر مني مـــالاً وأهلاً، فما أصـــابهم أصـــابني معهم. ونهض الأقلـــون مع الناصح ففـــازوا بالنجـــاة، وصـــبح الجيش

أهل الوادي فقتلهم واجتاح أموالهم.

وقد أشـار النـبي ﷺ إلى هـذا المثل بعينه في الحديث المتفق على صحته من حـديث أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قـال: **«إنما مثلي ومثل ما بعثـني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيـني وأنا النـذير العريـان فالنجـاة النجـاة، فأطاعه طائفة من قومـه، فـأدلجوا [1] وانطلقـوا على مهلهم فنجـوا، وكـذبت طائفة منهم فأصـبحوا مكانهم، فصـبحهم الجيش فـأهلكهم واجتـاحهم؛ فـذلك مثل من أطـاعني واتبع ما جئت بـه، ومثل من عصـاني وكـذب بما جئت به من الحق» [رواه البخاري].**

* * * *

المثال الخامس عشر
ضيف وعارية

رجل هيأ دارًا وزينها ووضع فيها من جميع الآلات ودعا النـاس إليهـا، فكلما دخل

[1] (?) أدلجوا: ساروا ليلاً.

داخل أجلسه على فـراش وثـير، وقـدم إليه طبقًا من ذهب عليه لحم، ووضع بين يديه أواني مفتخـرة فيها من كل ما يحتـاج إليـه، وأخدمه عبيده ومماليكه، فعـرف العاقل أن ذلك كله متاع صاحب الـدار وملكه وعبيـده، فاستمتع بتلك الآلات والضـيافة مـدة مقامه في الـــدار، ولم يعلق قلبه بها ولا حـــدث نفسه بتملكهـا؛ بل اعتمد مع صـاحب الـدار ما يعتمــده الضــيف؛ يجلس حيث أجلســه، ويأكل ما قدمه له، ولا يسأل عما وراء ذلك؛ اكتفـاء منه بعلم صـاحب الـدار وكرمه وما يفعله ضيوفه، فدخل الدار كريمًا وتمتع فيها كريمًا، وفارقها كريمًـا، ورب الـدار غـير ذام له.

وأما الأحمق فحدث نفسه بسكنى الـدار، وحــوز تلك الآلات إلى ملكه وتصــرفه فيها بحسب شــهوته وإرادتــه، فتخــير المجلس لنفســه، وجعل ينقل تلك الآلات إلى مكــان في الـدار يخبؤها فيـه، وكلما قـدم إليه ربها شــيئًا أو آلة حــدث نفسه بملكه واختصاصه به عن سائر الأضياف، ورب الدار يشاهد ما يصـــنع، وكرمه يمنعه من إخراجه من داره، حــتى إذا ظن أنه اســتبد بتلك الآلات وملك

الـــدار وتصـــرف فيها وفي آلاتها تصـــرف المالك الحقيقي، واســتوطنها واتخــذها دارًا له، وأرسل إليه مالكها عبيده فأخرجوه منها إخراجًا عنيفًـا، وسـلبوه كل ما هو فيـه، ولم يصـحبْه من تلك الآلات شـيء، وحصل على مقت رب الـــدار وافتضـــاحه عنـــده وبين مماليكه وحشمه وخدمه.

فليتأمل اللبيب هـذا المثـال حق التأمـل؛ فإنه مطابق للحقيقة، والله المستعان.

قال عبد الله بن مسعود : «كل أحد في هـذه الـدنيا ضـيف، وماله عاريـة، فالضـيف مرتحل والعارية مؤداة».

وفي الصـــــحيحين عن أنس بن مالك قــال: مــات ابن لأبي طلحة من أم ســليم، فقالت لأهله: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثـه، فجـاء، فقـربت إليه عشـاء فأكل وشـــرب وقـــال: ثم تصـــنعت له أحسن ما كـانت تصـنع قبل ذلك فوقع بهـا، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها. قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عـاريتهم أهل بيت فطلبوا عـاريتهم، ألهم أن يمنعـوهم؟ قـال: لا. قــالت: فاحتسب ابنــك. قــال: فغضــب. قــال: تركتــني تلطخت ثم أخبرتــني بــابني،

فانطلق حتى أتى رسـول الله ﷺ فـأخبره بما كان منها، فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما في ليلتكما**». وذكر الحـديث. **[رواه البخاري ومسلم]**.

* * * *

المثال السادس عشر
شارب ماء البحر

قــوم ســلكوا مفــازة، فاجــأهم العطش فـــانتهوا إلى البحـــر، ومـــاؤه أمر شـــيء وأملحه، فلشدة عطشهم لم يجــدوا مرارته وملوحته فشربوا منـه، فلم يـرووا، وجعلـوا كلما ازدادوا شـــربًا ازدادوا ظمـــأ، حـــتى تقطعت أمعـــاؤهم ومـــاتوا عطشًـــا، وعلم عقلاؤهم أنه مر مـــــــالح، وأنه كلما ازداد الشــارب منه ازداد ظمــؤه، فتباعــدوا عنه مسافة حـتى وجـدوا أرضًـا حلـوة، فحفـروا فيها قليبًــا، فنبع لهم مــاء عــذب فــرات، فشـربوا وعجنـوا وطبخـوا ونـادوا إخـوانهم الـذين على حافة البحـر: هلمـوا إلى المـاء الفــرات. وكــان منهم المســتهزئ، ومنهم المعـــرض الراضي بما هو فيـــه، وكـــان

المجيب واحدًا بعد واحـد، وهـذا المثل بعينه قد ضربه المسيح فقال: مثل طالب الدنيا كمثل شـارب مـاء البحـر؛ كلما ازداد شـربًا ازداد عطشًا حتى يقتله.

* * * *

المثال السابع عشر
الرفيق والسفر

مثل الإنسان ومثل ماله وعمله وعشيرته مثل رجل له ثلاثة إخـــوة فقضى له ســـفر بعيد طويل لابد له منـه، فـدعا إخوته الثلاثة وقـال: قد حضر ما تـرون من هـذا السـفر الطويل، وأحوج ما كنت إليكم الآن.

فقـال أحـدهم: أنا كنت أخـاك إلى هـذه الحـال، ومن الآن فلست بـأخ ولا صـاحب، وما عندي غير هذا، فقال لـه: لم تغن عـني شيئًا.

فقال للآخر: ما عندك؟ فقال: كنت أخاك وصـاحبك إلى الآن، وأنا معك حـتى أجهـزك إلى ســفرك وتـــركب راحلتــك، من هنالك لست لك بصاحب، فقال له: أنا محتـاج إلى مرافقتك في مسـيري. فقـال: لا سـبيل لك إلى ذلك. فقال: لم تغن عني شيئًا.

فقال للثالث: ما عندك أنت؟ فقال: كنت صاحبك في صـحتك ومرضـك، وأنا صـاحبك الآن، وصاحبك إذا ركبت راحلتـك، وصـاحبك في مسيرك؛ فإن سرت سـرت معـك، وإن نـزلت نـزلت معـك، وإذا وصـلت إلى بلـدك كنت صاحبك فيها لا أفارقك أبدًا، فقـال: إن كنت لأهـــون الأصـــحاب علي، وكنت أوثر عليك صاحبيك، فليتني عرفت حقك وآثرتك عليهما.

فالأول: مالـه، والثـاني: أقاربه وعشـيرته وأصحابه، والثالث: عمله.

وقد روي في هـــذا المثل بعينه حـــديث مرفــــــــوع، لكنه لا يثبت، رواه أبو جعفر العقيلي في كتاب **[الضعفاء]** من حديث ابن شــهاب عن عــروة عن عائشــة، وعن ابن المســيب عن عائشة مرفوعًـــا، وهو مثل صحيح في نفسه مطابق للواقع.

* * * *

المثال الثامن عشر
خطاب الدنيا

وهو من أحسن الأمثلة: ملك بنى دارًا لم ير الراؤون ولم يسمع السامعون أحسن ولا أوسع ولا أجمع لكل ملاذ النفـــوس منهـــا، ونصب لها طريقًا، وبعث داعيًا يدعو النــاس إليهــا، وأقعد على الطريق امــرأة جميلة قد زينت بــأنواع الزينــة، وألبست أنــواع الحلي والحلل، وممر الناس كلهم عليها، وجعل لها أعوانًا وخدمًا، وجعل تحت يــدها ويد أعوانها زادًا للمــارين الســائرين إلى الملك في تلك الطريـــق، وقـــال لها ولأعوانهـــا: من غض طرفه عنــك، ولم يشــتغل بك عــني، وابتغى منك زادًا يوصــله إلي فاخدميه وزوديــه، ولا تعوقيه عن ســـــفره إلي، بل أعينيه بكل ما يبلغه في ســـــــــفره، ومن مد إليك عينيه ورضي بك وآثـــرك علي وطلب وصــــالك، فسوميه ســوء العـذاب وأوليه غاية الهـوان، واســـتخدميه واجعليه يـــركض خلفك ركض الـــوحش. ومن يأكل منك فاخدعيه به قليلاً ثم استرديه منه واسلبيه إياه كله، وســلطي عليه أتباعك وعبيدك، وكلما بالغ في محبتك

وتعظيمك وإكرامــــك، فقابليه بأمثاله قلى[1] وإهانة وهجــــرًا، حـــــتى تتقطع نفسه عليك حسرات، فتأمل هذا المثـال وحـال خطـاب الدنيا وخطاب الآخرة. والله المستعان.

وهذا المثل مأخوذ من الأثر المــروي عن الله عز وجــــــل: **(يا دنيا اخـــــــدمي من خدمني واستخدمي من خدمك)**.

* * * *

المثال التاسع عشر
وسابقوا..

ملك خــــــــــطَّ مدينة في أصح المواضع وأحسنها هـواء وأكثرها مياهًـا، وشق أنهارها وغـرس أشـجارها، وقـال لرعيتـه: تسـابقوا إلى أحسن الأمــاكن فيهــا؛ فمن ســبق إلى مكان فهو له، ومن تخلف سبقه الناس إلى المدينة. فأخذوا منـازلهم وتبـوأوا مسـاكنهم فيها، وبقي من أصـحاب الحسـرات. ونصب لهم ميــدان الســباق، وجعل على الميــدان شـــجرة كبــيرة لها ظل مديــد، وتحتها ميــاه جارية، وفي الشجرة من كل أنواع الفواكه، وعليها طيور عجيبة الأصوات، وقـال لهم: لا تغــتروا بهــذه الشـــجرة وظلهــا، فعن قليل

1 (?) القلى: الهجر والتباعد.

تجتث من أصــلها، ويــذهب ظلهــا، وينقطع ثمرها وتمــوت أطيارهــا، وأما مدينة الملك فأكلها دائم وظلها مديـد، ونعيمها سـرمدي، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن ســـمعت، ولا خطر على قلب بشــر، فســمع النــاس بها فخرجــوا في طلبها على وجــوههم، فمــروا بتلك الشــــجرة على أثر تعب ونصب وحر وظمأ، فنزلوا كلهم تحتها، واستظلوا بظلها، وذاقــوا حلاوة ثمرهــا، وســمعوا نغمــات أطيارها، فقيل لهم: إنما نزلتم تحتها لتحموا أنفسـكم، وتضـمروا [1] مـراكبكم للسـباق، فتهيـؤوا للركـوب، وكونـوا على أهبـة، فـإذا صاح النفير استدركتم حلبة السـباق، فقـال الأكـــثرون: كيف نـــدع هـــذا الظل الظليل والمـــاء السلســـبيل[2]، والفاكهة النضـــجة والدعة[3] والراحـة، ونقتحم هـذه الحلبة في الحر والغبـــار، والتعب والنصب والســـفر البعيد، والمفاوز المعطشة التي تنقطع فيها الأمعـاء، وكيف نـبيع النقد الحاضر بالنسـيئة الغائبة إلى الأجل البعيد، ونترك ما نراه إلى ما لا نــراه، وذرة منقــودة في اليد أولى من

---

1 (?) ضمر الخيل: أنحلها لتزيد سرعتها.

2 (?) السلسبيل: السهل المساغ والانحدار في الحلق.

3 (?) الدعة: خفض العيش والسعة.

موعودة بعد غد:

خذ ما تراه ودع شيئًا سمعت به

ونحن بنو اليوم، وهـذا عيش حاضـر، كيف نتركه لعيش غائب في بلد بعيـد لا ندري مـتى نصـل إليـه، ونهض من كـل ألف واحد وقالوا: والله مـا مقامنـا هـذا في ظل زائل تحت شجرة قد دنا قلعها وانقطاع ثمرها وموت أطيارها- ونـترك المسـابقة إلى الظـل الظليـل الـذي لا يزول، والعيش الهنيء الـذي لا ينقطـع، إلا من أعجـز العجـز، وهـل يليـق بالمسـافر إذا اسـتراح تحت ظـلٍّ أن يضرب خباءه عليه، ويتخذ وطنه خشـية التأذي بالحر والبرد؟ وهل هذا إلا أسفه السـفه؟ فالسـباق السـباق والبـدار والبدار:

حكم المنية في البرية جاري

ما هذه الدنيا بدار قرار

اقضوا مآربكم سراعًا إنما

أعماركم سفر من الأسفار [1]

وتراكضوا خيل السباق

أن تسترد فإنهن عواري

---

[1] (?) مآربكم: حاجاتكم.

ودعوا الإقامة تحت ظل زائل
أنتم على سفر بهذي الدار
من يرج طيب العيش فيها [1]
والعيش كل العيش فراقها
في دار أهل السبق أكرم دار

فاقتحموا حلقة السباق، ولم يستوحشــوا من قلة الرفاق، وساروا في ظهور العزائم، ولم تأخـــــذهم في ســــيرهم لومة لائم، والمتخلف في ظل الشجرة نائم. فوالله ما كــان إلا قليل حــتى انــزوت أغصــان تلك الشـــجرة، وتســـاقطت أوراقهـــا، وانقطع ثمرهــا، ويبست فروعهــا، وانقطع مشــربها، فقَلَعَها قَيِّمها من أصــلها، فأصــبح أهلها في حر السموم [2] يتقلبون، وعلى ما فاتهم من العيش في ظلها يتحســـرون، أحرقها قَيِّمها فصارت هي وما حولها نارًا تلظى، وأحاطت النـــــار بمن تحتها فلم يســــتطع أحد منهم الخــروج منهــا. فقــالوا: أين الــركب الــذي اســـتظلوا معنا تحت ظلهـــا؟ ثم راحـــوا

---

1 (?) شفير هار: حرف مشرف على السقوط.

2 (?) الســموم: ريح حــارة من النــار تــؤثر في الجسم كالسم.

وتركـوه، فقيل لهم: ارفعـوا أبصـاركم تـروا منازلهم، فرأوهم من البعد في قصور مدينة الملــك، وغرفها يتمتعــون بــأنواع اللــذات، فتضـــاعفت عليهم الحســـرات ألا يكونـــوا معهم، وزاد تضعفها بـأن حيل بينهم وبين ما يشتهون، وقيل هـذا جـزاء المتخلفين: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَـــاهُمْ وَلَكِنْ كَـــانُوا أَنْفُسَـــهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ **[النحل: 118].**

* * * *

المثال العشرون
ثوب مشقوق

ما مثلها به النبي ﷺ من الثوب الــذي شق وبقي معلقًا بخيط في آخره؛ فما بقــاء ذلك الخيط.

قــال ابن أبي الــدنيا: حــدثني الفضل بن جعفر، حدثنا وهب بن حماد، حدثنا يحيى بن سـعيد القطـان، حـدثنا أبو سـعيد خلف بن حبيب عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق أوله إلى آخـــــره فبقي معلقًا بخيط في آخـــــره فيوشك ذلك الخيط أن**

ينقطع» [إتحاف الأشراف].

وإن أردت لهذا المثل زيادة إيضاح فانظر إلى ما رواه أحمد في مسـنده من حـديث أبي نظـرة عن أبي سـعيد قـال: صـلى بنا رسـول الله ﷺ العصر نهـارًا، ثم قـام فخطبنا فلم يترك شـيئًا قبل قيـام السـاعة إلا أخـبر بـه، حفظه من حفظه ونسـيه من نسـيه، وجعل الناس يلتفتون إلى الشمس هل بقي منها شـيء، فقـال: **«ألا إنه لم يبق من الـدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يـومكم هـذا فيما مضى منه».** **[رواه أحمد والترمذي].**

وروى حفص بن غيـاث عن ليث، عن المغيرة بن حكيم، عن ابن عمر قال: خـرج علينا رسول الله ﷺ، والشمس على أطـراف السعف، فقـال: **«ما بقي من الـدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هـذا فيما مضى منه» [إحياء علوم الدين].**

وروى ابن أبي الـدنيا، عن إبـراهيم بن سـعد، حـدثنا موسى بن خلـف، عن قتـادة، عن أنس أن رسـول الله ﷺ خطب عند

مغـــرب الشـــمس فقـــال: **«ما بقي من الـــدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا منه»**[1].

فالدنيا كلها كيـوم واحد بعث رسـول الله ﷺ في آخره قبل غروب شمسه بيسير.

وقال جـابر وأبو هريـرة رضي الله عنهما عنه ﷺ: **«بعثت أنا والسـاعة كهـاتين».** **[رواه البخاري ومسلم]**، وقرن بين أصـابعه؛ السبابة والوسطى.

وكان بعض السلف يقول: تصـبروا؛ فإنما هي أيـــام قلائـــل، وإنما أنتم ركب وقـــوف يوشك أن يـدعى أحـدكم فيجيب ولا يلتفت، وإنه قد نعيت إليكم أنفســـكم، والمـــوت حبس لابد منه، والله بالمرصاد، وإنما تخرج هــذه النفــوس على آخر ســورة الواقعــة: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَـانَ مِنَ الْمُقَـرَّبِينَ * فَـرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْـــحَابِ الْيَمِينِ * فَسَـــلامٌ لَـــكَ مِنْ أَصْـــحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَـــانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّـالِّينَ * فَنُـزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ **[الواقعة: 88-94].**

---

[1] (?) مجمع الزوائد، وإتحاف الأشراف.

* * * *

المثال الحادي والعشرون
قليل من قليل

مثال الدنيا حوض كبـير ملئ مـاء، وجعل موردًا للأنام والأنعام، فجعل الحـوض ينقص على كثرة الوراد، حـتى لم يبق منه إلا كـدر في أسفله، قد بـالت فيه الـدواب، وخاضـته النـــاس والأنعـــام، كما روى مســـلم في صـــحيحه عن عتبة بن غـــزوان أنه خطبهم فقـــال في خطبتـــه: «إن الـــدنيا قد اذنت بصـــرم [1] وولت حـــذاء [2]، ولم يبق منها إلا صبابة[3] كصبابة الإناء يتصببها صاحبها، إنكم منتقلون عنها إلى دار لا زوال لهـا، فـانتقلوا بخير ما بحضرتكم» **[رواه مسلم]**.

وقال عبد الله بن مسعود: إن الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلاً، فما بقي منها إلا قليل من قليـــــل، ومثل ما بقي منها كـــــالثغب؛ شرب صفوه وبقي كدره. الثغب: الغدير.

* * * *

المثال الثاني والعشرون

---

1 (?) الصرم: القطيعة.
2 (?) الحذاء: السريعة التي لا يتعلق بها شيء.
3 (?) الصبابة: البقية.

المدينة والخراب

قوم سكنوا مدينة مدة من الزمان فكثرت فيها الأحداث والآفات وطرقتها المحن، وأغارت عليها عساكر الجور والفساد، فبنى ملكهم مدينة في محل لا يطرقه آفة ولا عاهة، وعزم على تخريب المدينة الأولى، فأرسل إلى سكانها فنودي فيهم بالرحيل بعد ثلاث ولا يتخلف منهم أحد، وأمرهم أن ينقلوا إلى مدينة الملك الثانية خير ما في تلك المدينة وأنفعه وأجله من الجواهر واللآلئ والذهب والفضة، وما خف حمله من المتاع، وعظم قدره وصلح للملوك، وأرسل إليهم الأدلاء وآلات النقل، ونهج لهم الطريق ونصب لهم الأعلام، وتابع الرسل يستحثونهم، بعضهم في إثر بعض، فانقسموا فرقًا:

فالأقلون: علموا قصر مدة مقامهم في تلك المدينة، وتيقنوا أنهم إن لم يبادروا بتحصيل خير ما فيها وحمْله إلى مدينة الملك، وإلا فاتهم ذلك فلم يقدروا عليه، فرأوا غبنًا أن يقطعوا تلك المدة في جمع المفضول والاشتغال به عن الفاضل، فسألوا عن خير ما في المدينة وأنفسه

وأحبه إلى الملك وأنفعه في مدينته، فلما عرفوه لم يلتفوا إلى ما دونه، ورأوا أن أحدهم إذا وافى بجوهرة عظيمة، كانت أحب إلى الملك من أن يوافيه بأحمال كثيرة من الفلوس والحديد ونحوها، فكان همهم في تحصيل ما هو أحب إلى الملك وأنفس عنده، ولو قل في رأي العين.

وأقبلت فرقة أخرى على تعبئة الأحمال المحملة، وتنافسوا في كثرتها وهم على مراتب، فمنهم من أحماله أثمان، ومنهم من أحماله دون ذلك على قدر هممهم وما يليق بهم، لكن هممهم مصروفة إلى تعبئة الأحمال والانتقال من المدينة.

وأقبلت فرقة أخرى على عمارة القصور في تلك المدينة والاشتغال بطيباتها ولذاتها ونزهها، وحاربوا العازمين على النقلة، وقالوا: لا ندعكم تأخذون من متاعنا شيئًا؛ فإن شاركتمونا في عمارة المدينة واستيطانها وعيشنا فيها، وإلا لم نمكنكم من النقلة، ولا من شيء من المتاع، فوقعت الحرب بينهم فقاتلوا السائرين، فعمدوا إلى أكل أموالهم وأهليهم، وما نقموا منهم إلا بسيرهم إلى دار الملك

وإجابة داعيـه، والرغبة عن تلك الـدار مـتى أمرهم بتركها..

وأقبلت فرقة أخرى على التنزه والبطالة والراحة والدعة، قـالوا: لا نتعب أنفسـنا في عمارها، لا ننتقل منهـا، ولا نعـارض من أراد النقلة ولا نحاربهم ولا نعاونهم، وكان للملك فيها قصر فيه حــريم لــه، وقد أحــاط عليه سورًا وأقام عليه حرسًــا، ومنع أهل المدينة من قربانه، وطاف به القاعدون فلم يجــدوا فيه بابًا يــدخلون منــه، فغـدوا على جدرانه فنقبــوا ووصــلوا إلى حريمه فأفســدوهم، ونالوا منهم ما أسخط الملك وأغضبه وشق عليـه، ولم يقتصـروا على ذلك حـتى دعــوا غيرهم إفساد حريمه والنيل منهم.

فبينما هم على تلك الحال وإذا بالنفير قد صــاح فيهم كلهم فلم يمكِّن أحـدًا منهم من التخلف، فحملوا على تلك الحـال وأحضـروا بين يدي الملك فاستعرضهم واحـدًا واحـدًا، وعرضت بضــائعهم وما قــدموا به من تلك المدينة عليـــه، فقبل منها ما يصـــلح لـــه، وأعــاض أربابه أضــعاف أضــعاف قيمتــه، وأنــزلهم منــازلهم من قربـه، ورد منها مــالا يصلح له، وضرب به وجــوه أصــحابه، وقابل

من نقَّب حِمــاه وأفسد حريمه بما يقابل به المفســـدون، فســـألوا الرجعة إلى المدينة ليعمروا قصره، ويحفظوا حريمــه، ويقـدموا عليه من البضــائع مثل ما قــدم به التجــار، فقــال: هيهــات قد خــربت المدينة خرابًا لا تعمر بعــده أبــدًا، وليس بعــدها إلا المدينة التي لا تخرب أبدًا.

فهرس المحتويات

المقدمة.......................................5
المثال الأول مثل العبد فيها....................7
المثال الثاني شهوات الدنيا....................8
المثال الثالث انشغال أهلها بنعيمها عن
الآخرة.......................................9
المثال الرابع وغرتهم الحياة الدنيا...........10
المثال الخامس ظل شجرة.....................12
المثال السادس منقطعة فانية.................12
المثال السابع شَرَةٌ قاتل......................13
المثال الثامن خضرة.. حلوة..................16
المثال التاسع هوانها على الله.................17
المثال العاشر بحر لابد من عبوره...........18
المثال الحادي عشر إناء مملوء عسلاً......19
المثال الثاني عشر حب نثر على الأرض...19
المثال الثالث عشر تقاحم الفراش..........20
المثال الرابع عشر الوادي الأخضر..........21
المثال الخامس عشر ضيف وعارية.........22
المثال السادس عشر شارب ماء البحر....24
المثال السابع عشر الرفيق والسفر........24
المثال الثامن عشر خطاب الدنيا............26
المثال التاسع عشر وسابقوا.................27
المثال العشرون ثوب مشقوق...............30
المثال الحادي والعشرون قليل من قليل...32
المثال الثاني والعشرون المدينة والخراب.32
فهرس المحتويات............................35

* * * *